

استخدامات أغنية الطفل كأداة لتلقين بعض القيم و المعارف the use of children song as a tool to teach some values and knowledge

بدار حورية *¹، بوخلدة مونية عتيقة²

¹ كلية الآداب و اللغات والفنون جامعة الجيلالي ليابس - سيدي

بلعباس، houriabedar@gmail.com

مخبر النص المسرحي الجزائري، جمع و دراسة في الأبعاد الفكرية و الجمالية، لجامعة

جيلالي ليابس سيدي بلعباس

² كلية الآداب و اللغات والفنون جامعة الجيلالي ليابس - سيدي

بلعباس، boukhouldam@yahoo.com

تاريخ النشر: 2023/..../..

تاريخ القبول: 2023/..../..

تاريخ الاستلام: 2023/..../..

ملخص: يميل الطفل فطريا للغناء في مختلف مراحل نموه العمرية و الأغنية باختلاف أنواعها تلازمه منذ ولادته، إذ كانت الأم العربية لا تتيم ابنها إلا على أنغام هدهدتها، لأنها رأت في ذلك تقريرا لفؤاده وطبقة على خاطره كي لا ينام حزينا. و هو نشاط ذو قدر عال من الفاعلية في العملية التربوية الغير التقليدية التي يتلقى بها المعارف و التوجيهات بطريقة غير مباشرة، لأن التلقين المباشر ينقره.. و أشار العديد من الدارسين في علم النفس أن الغناء يؤثر في شخصية الطفل فيظهرها و يدعم تميمتها إضافة لكونه علاجا لعدد الاضطرابات النفسية، بذلك فالأغنية وسيلة للتعبير عن الذات و المشاركة والتفريح عن الانفعالات و اكتساب القيم و المعارف والأخلاق.

الكلمات المفتاحية: الطفل؛ الأغنية؛ موسيقى؛ الجانب النفسي؛ الجانب الفيزيولوجي؛ وجدان الطفل؛

Abstract : The child instinctively tends to sing in the different stages of his age development, and the song of different types accompanies him since his birth, as the Arab mother would only put her son to sleep to the tunes of her lullaby, because she saw in that an emptying of his heart and a comfort to his mind so that he would not sleep sad. And it is an activity with a high degree of effectiveness

the non-traditional educational process by which he receives knowledge and directions in an indirect way, because direct indoctrination repels him..

And many studies in psychology indicated that singing affects the child's personality. Thus, the song is a means of self-expression, participation, release of emotions, and the acquisition of values, knowledge and morals

Keywords: Child (kid); The Song; Music; Physiological aspect; Psychological aspects; Child's conscience.

1. مقدمة:

يهوى الطفل اللهو و الترفيه و الانبساط و الحركة و الاستطلاع، و يعد الغناء احد السبل التي تتيج له تلك المتعة، و لذلك اتخذّه المربون في الدول المتقدمة دعامة معينة لتلقيّنه الأسس التربوية و المعرفية، بعيدا عن السبل الصارمة التي تعتمد المباشرة في التلقيّن و التي ينفر منها الطفل، وظهرت تزامنا مع ظهور الشعر لدى عديد الأمم ، و لم يحدد تاريخ دقيق يبين زمن ظهور أغنية الطفل بل لازمت نشأتها ظهور الإنسان ، وقد تم تناقلها عن طريق المشافهة من بداية البشرية إلى أن شق طريقه إلى الشعر العربي¹ ،

و قد عرف الإنسان الغناء كأداة ينفس بها عن روحه و يعبر بها عن ما يختلج صدره من مشاعر و أحاسيس، و تقوم أغنية الطفل على الأساس ذاته فقد اتخذت الأمهات منها طريقة تنوّم بها طفلها و تستمتع بها بأمومتها معبرة عن حنانها و حبها و آمالها فيه و هي تطالع ملامحه و تشهد تطورها، و أحيانا أخرى تتخذ منها وسيلة للمداعبة فترقصه و تمرّن بدنه، و إذا ما بدا النطق فتكون أداة تلقينية تعلمه بها الكلمات وبها يتعود سماعه على الاستماع للكلام المنغوم، فمقاطع الأغاني و معانيها متشابهة إلا أن لغاتها مختلفة لان المنبع واحد و هو أحاسيس الأمومة ومثال ذلك أغاني المهد المرددة بدندنات قصد التنويم و التي تقول فيها: دودو..نيني..بي بي..و هي مقاطع ترددها جميع السن الأمهات على اختلاف أجناسها و أعراقها. و هذا ما يعده بعض المهتمين بأدب الطفل أمثال الأستاذ حسن بريغش و إسماعيل عبد الفتاح و نجيب الكيلاني انه أساس نشأة أدب الطفل و بذلك تعد أغنية الطفل منبع ظهور أدب الطفل المرتبط بالأمومة و الطفولة حيث وجدت و منذ ظهرت بشتى أنواعه أغنية كان أو قصة أو حكاية أو أسطورة...² و لا يوجد حضارة أهملت أدب الطفل بأجناسه مهما قلت إمكاناتها .

و لجأت إليها النساء في العصر الجاهلي تعبيرا عن حبها و ابداء لأمانيتها فيه وذكرا لمحاسنه او لملاعبته و إمتاعه أو لتتويمه...في قالب ترنيمات و مواويل بسيطة و أغاني و أناشيد بهيجة حفظها التراث العربي في سجله.³

و بذلك كانت الأغنية و سيلة يستقي بها الطفل قيمه و معارفه و يشبع بها جسده المشاعري، و قد ورد من الأثر أن المفضل بن زيد رأى امرأة بصحبة ابنها فأبدى انعجابه به لها فقالت له : " إذا أتم خمس سنوات أسلمته إلي المؤدب فحفظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغبه في مفاخر قومه"⁴

و مما لا شك فيه أن الاهتمام بأغنية الطفل لا زال يعاني التهميش و الندرة و لا نعلم اذلك راجع لتخوف الكتاب من المسؤولية التي يحملها هذا الفن على عاتقه تجاه الصغير أم لأن هذا المجال لا يذر بالنفع المادي على أصحابه و لهذا يبتعدون عنه، وبين هذين الصفين لا يسعنا إلا تسليط ما بوسعنا من نور على كل ما يخدم الطفولة، و في ذات السياق نطرح الإشكالية الرئيسية التالية: إلى أي مدى يمكن استخدام أغنية الطفل كأداة تلقينية فعالة لها من الأثر و التأثير ما لها لإكساب الطفل عديد القيم والمعارف؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يجب التطرق لطرح الإشكاليات التالية:

- ماهو السر وراء تأثير الأغاني و اعتبارها وسيلة تلقينية نافعة للطفل؟
- ماهي الجوانب التي يمكن أن تعالجها أغنية الطفل؟
- ماهي القيم التي يمكن تناولها كمواضيع أغاني موجهة للطفل؟
- كيف يمكن استخدام القوالب الغنائية الموجهة للطفل كي تدر نفعاً عليه؟

2- الجانب النظري:

2-1: ضبط المصطلحات:

الأغنية هي كل ما يترنم به من العبارات المقفاة و الموزونة و الملحونة والغناء من الصوت ما طرب به⁵. و تنتمي أغنية الطفل إلى بحر الأدب و تعرف أنها كلمات ملحونة و موزونة تستخدم للترفيه عن الطفل و تتسم بالوضوح و البساطة في الألفاظ و المعنى و يصفها هادي نعمان أنها جنس جميل من أجناس أدب الطفل يختص بدلالات و مفاهيم و تأثيرات

خاصة، و يتخذ من القيم و الأخلاق و المبادئ مواضيع بهدف ترسيخها و غرسها في وجدان الطفل⁷.

تأثير: مصدر اثر مضارعه يؤثر، اثر بشخص و تأثر به أي خلف فيه أثرا، و الأثر في علم النفس إحساس قوي تلحقه عواقب فعالة⁸.
و التأثير هو نتاج لتفاعل حاصل بين أساسين⁹.

موسيقى Music يعود أصل اللفظ إلى اليونان إذ كانت تمثل رواية أسطورية تقول أنها الوحي الذي أنزلته ربة الفن موزى... و تشمل فن الموسيقى والرقص و الشعر و الغناء بصورة عامة¹⁰ و أن موسست معناها الاستلهاهم ثم أضيفت الألف إلى الكلمة فصارت "موزا" و معناها الملهمة، و الميوزات هي الربات الصغيرات الثانوية المختصة بالفنون كمساعدات للآلهة الرئيسية، ثم أضيفت "يقي" لتصبح دالة على النسب فاكتملت كلمة موسيقى، انتقلت بعد ذلك الكلمة إلى عديد الأمم ليصطلح على معناها بما نعهده حاليا و و تختص بالفن الموسيقي. كان يقصد بالفن الموسيقي في العهد اليوناني

لطالما اعتبر الفن أداة فعالة لتغيير المجتمع لفعله التاثيري الذي يجتاح الجسد و الفكر و الروح والعقل، و تتقدم الموسيقى تلك الفنون و تتأسس القمة في العملية التأثيرية إذ كانت لها استخدامات عديدة فكان يحتفى بها في المناسبات الدينية و يبث بها الحماس في الحروب و تعالج بها الأمراض و الأسقام و تطرد بها الأرواح الشريرة كما تم اتخاذها وسيلة للإقناع الجماهير و إصلاح المجتمع عند اليونان دونا عن الخطابات الحماسية.

فكيف إذا اجتمعت الألحان الموسيقية و الكلمة في قالب كمي و كيفي واحد فالكلمة تشترك مع الموسيقى في قوة الأثر و التأثير و قد تكون ابلغ أحيانا على الجهاز السيكلوجي و الفيزيولوجي و العصبي، و من ثم يكون نتاج اندماج الكلمة واللحن اتحادا محققا للتفاهم و التقارب بين البشر و دعما لبلوغ الغايات الترفيهية و التعليمية و التربوية و التواصلية، و عن هذا يشير في قاموس الطفل الطبي أن الغناء وسيلة لعلاج الأمراض النفسية و عديد حالات الاضطراب كما انه يكسب ميزات كالصبر و الهدوء و شفافية النفس إضافة إلى

عمله على توسيع عضلات الصدر التي تعينه على التنفس السليم... أما الغناء الجماعي فيخلص الطفل من القلق و التوتر .¹¹

و لذلك حثت العديد من نتائج الدراسات في مجال علم النفس و الطب على ضرورة الاهتمام بالأغنية الموجهة للطفل لما لها من فوائد تعود على الصغير بالنفع سواء بدنيا أو فكريا أو نفسيا،

2-2 السر وراء تأثير الأغاني على نفس الطفل:

يعتمد الغناء اعتمادا رئيسيا على عضو الأذن أداة السمع و المنفذ الإدراكي الأول الذي يسبق البصر و الحس، وهذا بدليل علمي اقره العلماء في إثبات إعجازي جاء به القرآن الكريم منذ آلاف السنين إذ يقول تبارك وتعالى في سورة النحل: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (78)¹² وتوضح الآية الكريمة ملكات الإدراك التي تعتبر منافذا للمعلومات، فالطفل الصغير يخرج من بطن أمه صفحة بيضاء لا يفقه شيء، فيلتقط كل ما يسقى له و السمع أكثر حاسة تؤثر في سقل المعارف ببيان واضح و صريح ثبت في الكتاب المقدس ففي تسبيقه عن السمع تدرج ترتيبي في قوة الاستجابة و من ثم قوة التأثير.

و من هنا كان للكلمة أثرها على النفس البشرية و فوق تأثير العبارات التي تحتويها الأغنية يندرج تأثير الموسيقى، و لكي ندرس هذا التأثير يجب أن نحلل أنواع الترددات الصوتية و أثرها على الفرد، من مكوناته الجسدية المختلفة وأولها الجسد المشاعري فالفكري ثم البدني. تأثر الموسيقى مباشرة على القشرة الدماغية التي تمثل مركز الشخصية و الوجدان و التفكير ومن أهم الأدوات التي تجسد فيها الموسيقى الوقع الايجابي و رد فعله في النفس، هي قدرتها على تهدئة التغذية الاسترجاعية و الأفعال المنعكسة الشرطية في قشرة الدماغ مما يجعل الفرد عرضة للتصورات و التخيلات،¹³ يكمن سر التأثير الموسيقي في المكون الموسيقي بحذ ذاته المتمثل في: الارتفاع أو العلو والإيقاع والسرعة والشدة والنوع والنغمة والانسجام. و تقوم هذه المكونات على أساس مادي و هو الصوت الذي يعرّف على انه

ترددات تنتقل عبر الهواء لتصل إلى الأذن العضو المسؤول عن السمع ليبلغ مركز السمع في المخ ثم مركز الترابط و الإدراك في الدماغ محدثاً أثراً على الدوائر الكهربائية و الكيميائية¹⁴. و قد تناول العلماء العرب أمثال الفارابي المادة الصوتية كأساس للفن الموسيقي فأشار إليها بأنها الكم الذي يُظهر بُعد حدة الأصوات و ثقلها و وزنها من الثقل والخفة. ومن زاوية الكيف التي هي محاكاة للكم، فيمثل الثقل والبطء والضعف مثلاً صورة للحزن¹⁵ ، و تبهم في ذلك علماء غربيون أمثال دورميسون الذي يقول على المكون الموسيقي "انه سمة من سمات الإحساس السمعي المرتبطة بتردد الصوت، مما يعني أن الصوت حاد أو غليظ" اعتماداً على ما إذا كانت تلك الذبذبات عالية إلى حد ما. حيث يتوافق الصوت الحاد مع التردد المرتفع، بينما يأتي الصوت الغليظ متوافقاً مع التردد المنخفض¹⁶.

ينوه الألماني فان ديست Van Deest المختص في تقنية العلاج بالموسيقى في كتابه العلاج بالموسيقى أن الأداء الغنائي للطفل يشغل باله عن كل ما هو سلبي، ويضيف انه إذا ماتمت مصاحبته مع العزف على آلة موسيقية فانه يعمل على تحريره من المشاعر السلبية و يمكنه من الإفصاح والتعبير عن كل ما يختلج صدره. إضافة إلى الأداء الموسيقي الجماعي الذي يقسمه كل من الفرنسيان بانس و ميرو في دليلهما التطبيقي للعلاج بالموسيقى إلى: الأنشطة الصوتية الحرة، الأنشطة الصوتية الموجهة و كلاهما يشجع الطفل على الاندماج في المجموعة و يطور مهاراته الاجتماعية و يحرره من الخجل السلبي و يوافقه في ذلك جوست الذي يقول أن الاستماع الموجه للاغاني يكسب الطفل ميزة الإصغاء و يعلمه أدب الحوار.

2-3 استخدامات الأغنية الموجهة للطفل لتلقين القيم و المعارف:

ينجذب الطفل إلى كل ما هو جميل فينبهر بالألحان الشجية و تبتهج نفسه للاغاني البهية فهو مخلوق على قدر عال من الذكاء و ميال إلى تذوق الفن و سريع الاستجابة لكل عملي فني، كما أن اهتماماته الفنية تظهر أبكر بكثير من اهتماماته الفكرية و البدنية¹⁷ و

من الصور النفعية للغناء انه يبهج الطفل كما يعطي الغناء الجماعي شعورا بالاعتزاز و تقدير الذات و الثقة بالنفس بحيث يدرك أن هنالك من يعيره الاهتمام و يقدر احساسه ويكثر لاداءه و يصغي لاهتماماته¹⁸

و يشير فيجوسكي أن كل السقالات التي يسقل بها الطفل يستقيها أولا من الزاوية الحدية القريبة المتمثلة في الأسرة و الزاوية الحدية البعيدة المتمثلة في المدرسة و المجتمع، و منه فان غرس القيم و تأصيلها لدى الطفل هو مهمة الأسرة بالدرجة الأولى ثم المدرسة فالمجتمع، و تعد القيم القاعدة التي ترسم حدود شخصية الطفل، و تلقينه بعض منها للطفل بشكل محبب و في قالب ترفيهي ترويحي يكون له جميل الوقع على النفس و سهولة الفهم في الذهن و شديد الرسوخ في الوجدان، و أول موضوع نتطرق له هو:

2-3-1 القيم الدينية و تتقدمه:

أ- قيمة التوحيد وكمثال اخترنا أغنية: لا اله إلا الله

لا اله إلا الله هو معبودي ليس سواه

معنى القول الطيب هذا يا أستاذي علمناه

لا معبود بحق يدعى إلا الواحد وهو الله¹⁹

هي أغنية ترسخ فكرة التوحيد و تجعل الطفل يستشعر حلاوة الإيمان، و هي أول فكرة يدعوا إليها ديننا الحنيف فشهادة أن لا اله إلا الله هي الإقرار بكامل الجوارح انه لا معبود غير الله، هو الرب الواجب عبادته حق العبادة و الإخلاص له في كل الطاعات، فبالتوحيد يتعرف الطفل على خالقه و يتعلق قلبه به و يكون ذلك مفتاحا للإقبال على الطاعات.

ب-قيمة حب الرسول عليه الصلاة و السلام:

هنالك أغان استمدت مواضيع طرحها من الدين الحنيف، للتعريف بأركانه و تلقين الطفل شهادة أن لا اله إلا الله و أن محمدا رسول الله هي أقوم الأسس لثباته و إدراكه لأول ركن يقوم عليه الدين الإسلامي، وتعريف الطفل بالنبي عليه الصلاة و السلام هو غرس لحبه في القلب كي يقر اللسان برسالته بكل إدراك. و مثال ذلك أغنية: رسول الله محمد

رسول الله محمد	حبيب الله محمد
نبي الله محمد	خير خلق الله
شع نور في المدينة	و احتفي الكون و انشد
لا ختام المرسلين	و اسمه الهادي محمد
انه عز العرب	و أمه بنت وهب
هاشمي بالنسب	و بن عبد الله ²⁰

تتناول هذه الأغنية قيمتين ، قيمة دينية و قيمة تعليمية، أما الدينية فتحت على وصف النبي صلى الله عليه وسلم و التغني بنوره و جماله، لإبراز مكانته و لتحبيب الطفل في رسوله. و القيمة التعليمية جاءت لتعرف بنسب الرسول عليه الصلاة و السلام، و هي من الدروس الأساسية المقررة في التعليم الابتدائي و هكذا يسهل على الطفل استيعابها و حفظها بعيدا عن الضغط الامر يعاني منه أثناء حفظ الدروس.

ج- قيمة حب الوالدين: و نذكر في هذه القيمة أغنية من ديوان سليمان العيسى بعنوان ماما يا أنغاما

ماما ماما	يا أنغاما
تملا قلبي	بندى حبي
أنت نشيدي	عيدك عيدي
بسمه آمي	سر وجودي ²¹

تتغنى هذه الأغنية بحب الأم و حنانها و تظهر الصلة النورانية التي تربط قلب الأم بابنها مهما كبر و ابتعد، وهي قيمة دينية و تربية تقدر مكانة الوالدين كما أوصانا ديننا الحنيف. و نذكر أغنية كتبها أيضا سليمان العيسى تحمل قيمة حب الأب موضوعا لها و هي: أغنية بابا

بابا بابا	يومك طابا
دمت ربيعا	دمت شبابا
لي و لأجل	الوطن الغالي
يعمل بابا	دون ملل ²²

وتجسد أغنية بابا مشاعر الأبوة، و تصور معانيها المتمثلة في الحماية و السند و القوة التي أثارها البيت الثاني، كما بينت أيضا دوره في حمل الأعباء و المسؤوليات التي تعيل البيت و تساهم في دعم الاقتصاد الوطني .

2-3-2 القيم الاجتماعية:

يقول سليمان العيسى أن الأغاني التي تحمل أفكارا نبيلة خيرة هي "زاد يتزود به الصغير في حياته، وكنز صغير يشع و يضئ"²³ فهي تعرفه على كيفية الاستمتاع بالحياة من خلال تفاعله معها، اذ تشرح مفرداتها المعاني التي يتناولها موضوعها و تزوده بمختلف القيم التي تنير دربه و تثقل قيمته، و مثال عن ذلك اخترنا من ديوان الكاتب أغنية **النور للجميع**

النور للجميع	و الحب و للجميع
من زهرة واحدة	لا يصنع الربيع
تساندي تساندي	يا وحدة السواعد
غلانا الخضراء	و الخير و العطاء. ²⁴

حثت الأغنية على مشاركة الفرح و الحب، ودعت إلى التعاون و التآخي لان بالتآزر ترقى الأمم وتحافظ على وحدتها من التفكك .

2-3-3 القيم المعرفية:

تتمثل القيم المعرفية في كل ما يتم تلقينه للطفل من معارف مختلفة، و بعض تلك المعارف يتلقاه الطفل في صيغ غنائية تفتح له باب المعرفة فيستوعبها بسهولة الصورة التي تلقاها بها و وضوحها كرسالة و بساطة كلماتها و في هذا اخترنا أغنية شعبية تراثية انتقلت إلينا عبر التشافه تأخذ موضوع الحساب والعد موضوعا لها، كما حملت كلماتها بعضا من الأسماء المنتشرة في وقت تداولها كأغنية و هي لشخصيات نسائية و تقول كلمات الأغنية:

واحد زوج زوبيدة ثلاثة ربة ربيعة
خمسة ستة ستوتة سبعة ثمانية يمينة
تسعة عشرة عاشوراه حداعش ثناعش ماكياج²⁵

و في السياق نفسه تحضرنا أغنية تتناول قيمة معرفية تتمثل في تعليم الطفل النطق السليم للغة الفرنسية و قد تغنينا بها في طفولتنا دون أن نفكك معانيها :

Un bébé qui a mal au doigt

Aïe

Il lui dit

Aïe

Trompais tu

Aïe

Sa maman l'examina

²⁶ Aïe Aïe Aïe.

و كنا نغني هذه الأغنية و نحن نلعب بكرات صغيرة نضربها على الحائط بشكل إيقاعي منتظم مراعى لكلمات الأغنية و كان ذلك شكلا من أشكال الأنشطة الغنائية الإيقاعية الحركية، ابن كان اللعب هو عالم الأطفال بعيدا عن الوسائل التكنولوجية التي سجت الطفل

و حصرت أبعاد فكره و برمجت عقله على تقبل كل ما يرمى له من وراء الشاشات الالكترونية.

تعتبر القيم المختلفة الأساس الذي يجب على من يحملون مسؤولية تربية النشء الاهتمام بترسيخها لدى الطفل و التطرق لها كمواضيع أغنيائية محبة للطفل للإقبال عليها و ممارستها على غرار أركان الإسلام ومكانة الوالدين و حب الوطن والاعتزاز به و تأصيل خصال التعاون و التأزر و التقاهم والاحترام... كي لا يظل و لا يشقى في حياته فهي السراج المنير الذي ينير دربه و يرسم أهدافه k ويدعمه لتحقيقه إلى جانب ذلك يستحب دعمه بمعارف تعليمية تسهل عليه الاستيعاب و تكسبه قواعد و دروس تضل راسخة في ذهنه، كالحروف و الأرقام و الأيام و الأشهر و الألوان ...

و كتابة أغاني الطفل تعد من احلي ينابيع الأدب على حد تعبير احمد شوقي، وعنهما أيضا يضيف سليمان العيسى أن السبب وراء كتابة الأغاني للأطفال هو كونهم فرح الحياة و مجدها الحقيقي و مستقبلها فهم شباب الغد الذي سيملا الساحات غدا فهم امتدادي وامتدادك و هم النبات الذي تبحث عنه أرضنا العربية لتسرجع دورتها الدموية التي اختلت ألف عام، وعروقها التي جفت.²⁷

و يجب على كل من يغوص في بحرهما الالتزام الصارم باعتبارات عديدة و الدراية التامة بعالم الطفل و خباياه، فكما لاحظنا في الأغاني التي تناولناها في موضوعنا أن كلماتها اتصفت بالبساطة و السلاسة و بالخفة و الرشاقة الإيقاعية و الوضوح في المعاني و تلك بعض الاعتبارات التي تقوم عليها أغاني الطفل.

و لا تقتصر الفائدة النفعية لاغاني الأطفال في غرس القيم و تلقين المعارف فقط بل تتعدى ذلك إلى عديد الاستخدامات، فقد اقر العلماء نجاعتها في دعم علاج شتى الأمراض النفسية و العقلية والعضوية و أحيانا يتم اتخاذها من قبل التقنيين علاجا أساسيا، إلى جانب

استعمالها لتوجيه و تصحيح الاضطرابات السلوكية لدى الطفل، و عن ذلك نتطرق لموضوع استخدامها لمجابهة الاضطرابات السلوكية عند الصغير .

2-4 استخدام الأغاني لمواجهة الاضطرابات السلوكية عند الطفل:

غالبا ما يتم مواجهة المشاكل التي تظهر في سلوك الطفل سواء بين أفراد أسرته أو في المدرسة، من قبل متخصص يقترح استراتيجيات لمواجهة الاضطرابات السلوكية مما قد يشكل رهبا للطفل يشعره بالاختلاف السلبي عن غيره و قد يزيد من حدة الاضطرابات التي يعاني منها رفضا للنهج التقني ككل، ويمكن في مثل هذه الحالات الاستعانة ببرنامج دقيق تكون فيه الأغاني المادة الإصلاحية التي يتم بها توجيه سلوك الطفل وعن هذا يوصي احمد عكاشة بضرورة تعليم صغارنا الاستماع للأغاني، كي نعزز فيهم التنوع الجمالي، ونعيد إليهم روح الهدوء و الاطمئنان و المحبة بدل العنف الذي يتجرعونه من الأفلام و الصخب،...فالنفس ترقى تحت تأثير الموسيقى²⁸

نحدد أن لتخطيط صحيح لبناء شخصية سليمة، و لإدارة الاضطرابات السلوكية للطفل بعيدا عن العلاج الموسيقي، يقول وولكر WALKER Hill في كتابه السلوك المعادي للمجتمع في استراتيجيات المدرسة وأفضل الممارسات: "نفيد انه على الرغم من العدد اللباس به من التجارب والتدخلات العلاجية من طرف المتخصصين لعلاج الاضطرابات السلوكية و المشاكل النفسية لدى الطفل و المراهق...يبدو لنا أكثر واقعية أن نحاول إدارة كل الاضطرابات و المشاكل السلوكية في الفصل الدراسي من طرف المعلم"²⁹ ما يجعل أمر إدارة الاضطرابات السلوكية أمرا طبيعيا يمكن التحكم فيه من طرف المربي، و يهمننا أن يكون استخدام التأثير النافع للأغاني من طرف المربي سواء في المنزل أو المدرسة،

يثير وولكر استراتيجيات تهدف لإدارة السلوك المضطرب للطفل من طرف المعلم، و نرى انه من المثير للاهتمام استخدام الأغاني لتصحيح كل سلوك يشكل ضررا على صاحبه و على محيطه سواء في المدرسة حتى لا يؤثر على سير الدروس داخل القسم، كي يكون التعليم و التعلم فعالاً او في الاسرة كي لا يشقى الأهل بتربية أبنائهم.

و على سبيل المثال يمكن تعزيز الانتباه لدى الطفل من خلال نشاط الغناء التوجيهي كأن يطلب من الطفل القيام بحركات معينة تفاعلا مع الأغنية بحيث تتم الحركة في الوقت الصحيح و على الطفل إدراك ذلك الوقت و بنجاحها يتمكن الطفل من تفعيل الانتباه لديه و يمكن إطالة الوقت بانتظام وتدرج.³⁰

و يجب اختيار أغاني إيقاعية تتضمن كلماتها توجيهات لكي تجدي العملية نفعا و كمثال عن ذلك نأخذ أغنية :صفق

صفق مرة إلى اليمين صفق مرة إلى اليسار (2 تكرار)

يمين و يسار

اقفز قفزة إلى الأمام اقفز قفزة إلى الخلف

اقفز اقفز دون توقف استدر استدر قف

ضع يديك على الارض ارفع يديك الى السماء

من الأرض إلى السماء³¹

و مثلها العديد من الأغاني التي تدعم الطفل لتعزيز الانتباه و التركيز و تحفيزه على الحركة و مساعدته على الإدراك مع احتوائها عنصر المتعة و بساطة كلماتها التي تحتوي توجيهات سلسلة تساعد على تعلم ومتابعة التوجيهات و تنفيذها وترتكز على الإيقاع كمحفز³².

2-5 أسس استخدام الأغنية الموجهة للطفل :

فيما يتعلق باستخدام الأغاني كنشاط يؤثر في الطفل و ينتفع به، يجدر أن تمارس الكلمات والموسيقى من خلالها تأثيرها على نفس الصغير و جسده و عقله، و يجب الإشارة إلى أنها تشكل تطبيق أساليب استخدام تأثير مكونات الموسيقى من إيقاع و طابع و سرعة و تناغم مع الكلمات التي تحتويها الأغنية و التي تشكل توجيهها مباشرة حسب الموضوع الذي تناوله الكاتب، و لذلك يجب إيلاء شديد الاهتمام إلى التقنيات المستخدمة في هذا الإطار التي نحصرها في الآتي: الغناء، الغناء المصاحب للعزف، الأنشطة الصوتية الحرة، الأنشطة الصوتية الموجهة، الاستماع الموجه(أسلوب التلقي)

يبدو لنا من خلال ما اطلعنا عليه من تقنيات استخدام الموسيقى أن الأساليب المذكورة يمكن جدا تجسيدها على ارض الواقع سواء من قبل الأسرة أو المعلم، و سواء كان الأداء فرديا أو جماعيا فلكل منها نتائجها فالأولى تمكن الطفل من الاندماج السريع في الجماعة و تكسبه مهارات ما كان ليكتسبها بمفرده و الثانية تسمح له بالتعبير عن نفسه و تدعم مهارات الاتصال الفردية لديه،

و من اجل استخدام صحيح للتقنيات المذكورة، سنرجع بعض الكتاب الذين تناولوا موضوع استخدامها فحسب الأستاذة سالي منصور يستخدم التقنيات الموسيقية حول طرح ثلاث استقهامات، هي أين؟ وكيف؟ و بماذا³³

و للإجابة عن السؤال أين، يشير كل من الباحثان بانس و ميرو في كتابهما الدليل التطبيقي للعلاج بالموسيقى انه " يخص التهيئة المادية للمكان الذي يجب أن يكون على قدر من الاتساع"³⁴ تضيف عنايات محمد خليل انه "من اجل تقنية السمعية يشترط أن يكون المكان هادئ وان يخلو من كل المثيرات البصرية التي قد تشتت تركيز الطفل"³⁵

و إجابة على السؤال كيف فالأمر يتعلق بالأساليب المتبعة لأداء التقنية الموسيقية، و يؤكد سافران انه يستلزم تنظيم جيد لعملية سير النشاط الغنائي، بتعليمات دقيقة من بذل مجهود لتحفيز الطفل و خلق جو تنافسي و تنوع...³⁶ الخ و تضيف سالي منصور أن الإجابة على السؤال كيف هو المواد و الوسائط التي يتطلب استخدامها لكل تقنية، التي تشدد على "ضرورة أن تكون التسجيلات المستعملة لتقنية الاستماع الهادف ذات جودة عالية.

2- خاتمة:

يتضح لنا أن الأغنية يمكنها أن تؤدي أغراضا عديدة زيادة على الترويح و الإمتاع، فكلماتها تساعد الصغير على تحديد المفاهيم و تزوده برصيد لغوي يدعم حياتهم الاجتماعية و حاجاتهم النفسية، وأيضا تعينه على تحسين النطق و حسن استخدام الجهاز الصوتي و التنفسي إضافة إلى تزويده بالقيم و الأخلاق و المعارف.

وان مصاحبة الموسيقى للاغاني تشتمل على عامل طبيعي مثل للشرارة الكهربائية التي تؤثر في الأعصاب، و هنا يكمن سر استجابة الأطفال لها فكريا. و يساعد إيقاعها على تحفيز الحركة وتوجيه السلوك و تعمل ألعانها على فتح الأفق للخيال و تعزيز الفهم و الإدراك.

كما أن استخدامها كنشاط قد ينهل من فوائده الطفل الكثير و ليس فقط القيم و المعارف بل يتعدى ذلك إلى تصحيح سلوكاته و تعديلها زيادة على انها تدعم تحسين الذاكرة من خلال تنمية المعلومات والتحفيز على التفكير العقلي الذي يزيد من مدركاته بتطور الآلية العملية الدماغية كالتحليل و الاستيعاب و الحفظ و التركيب، وهي أيضا تنمي انفعالاته. و تحسن من مهاراته الجسدية و الحركية.

فتأثيرها شامل لكل الأجساد البشرية من الجسد المشاعري إلى الفكري إلى البدني و سر تأثيرها يعود إلى المكون الموسيقي الذي تحتويه و الذي أساسه المادة الفيزيائية التي تعبر عبر حاسة السمع كطاقة تتفاعل و الطاقة البشرية لتخلف من الآثار ما يصعب حصره. و من تلك التفاعلات ابتهاج النفس و استسقاء عديد القيم و المعارف و الانتفاع بالتداوي بها و تكريسها خدمة للطفل الذي يعد أب الغد و ركيزة الأمة.

و لهذا نذهب للتوصية مما سبق ذكره إلى :

- ضرورة ايلاء اكبر قدر من الاهتمام لتوظيفها في العملية التربوية و التعليمية من قبل الأهل والمربين، لما لها من نتائج ايجابية نفعية على لدى الطفل.
- تشجيع الطفل على الانضمام إلى المجموعات الصوتية الغنائية و اخذ دروس العزف على أي آلة يحبها.
- تكوين المربين من طرف مختصين في هذا المجال لضمان الاستخدام الصحيح لهذا الفن.